وصف الخيل في رسائل اللغويين العرب القدامى

- دراسة معجمية -

Description of horses in the treatises of the ancient Arab linguists -Lexical study-

أ. د. إبراهيم براهمي *
جامعة 8 ماي 1945 قالمة - الجزائر
Pr. brahmi brahim
Université 8 Mai 1945 Guelma- Algeria
brahimi12@hotmail.com

تاريخ استلام المقال:2025/03/13	تاريخ القبول: 2025/04/30	تاريخ النشر:2025/06/15

ملخص

تهدف هذهِ الدراسة إلى بيان عناية اللغويين العرب القدامى بباب وصف الخيل ونعوته، وأسماء الفرس العربي الأَصيل وأنسابه، وفرسانه في الجاهلية والإسلام؛ وما سوى ذلك من مباحث مطولة خصوها له في مؤلفاتهم...؛ فتصدر هذا الباب رسائلهم اللغوية التي غلب عليها الطابع المعجميّ تحليلا ودراسة؛ فكشفت في مضمونها عن حس الرابط التداولي بين الموضوع وسياقه التخاطبِي الاجتماعي، وقد توالى التأليف في هذا الموضوع منذ بدايات القرن الثالث الهجري ليبلغ ذروته في منتصف القرن الخامس الهجري .

لتطرح هذه الدراسة عديد التساؤلات؛ عن منهج اللغويين العرب القدامى في تناولهم لهذا الموضوع وطرائق تحليلهم له. وما عُرِف به من دقة في العرض والتمحيص؛ تجعل من منهجِهم أقرب إلى المنهج اللساني المعاصر. وما مدى ارتباط هذه المباحث اللغوية بالسياق التداولي المَعرِفيّ والحضاري العام. لتعيد طرح التساؤل: عن مدى تبصر علماء العربية القدامى بقضايا واقعهم اللغوي الاجتماعي في إطار رؤيتهم المعرفية التكاملية الجامعة.

الكلمات المفاتيح: الخيل؛ الفرس؛ التراث؛ اللغوي؛ العربي؛ الوصف؛ المعجم.

Abstract

This entry aims to show the interest of the ancient Arab linguists in describing describing horses and their epithets, and the names of the purebred Arabian horse and its lineages, and its

* **المؤلف المرسل:** إبراهيم براهمي **البريد الإلكتروني:** brahimi12@hotmail.com.

horsemen in pre-Islamic times and later. peace; And other than that in terms of lengthy discussions that they singled out for him in their books...; So this chapter published their linguistic treatises, which were dominated by the lexical character, in analysis and study. In its content, it revealed the sense of the deliberative link between the topic and its discursive social context. The beginnings of the third century AH, reaching its climax in the middle of the fifth century AH.

This entry raises many questions. About the methodology of the ancient Arab linguists in dealing with this subject and the methods of their analysis of it? And what was known for its accuracy in presentation and scrutiny; Make their curriculum closer to the contemporary linguistic approach? To what extent are these linguistic topics related to the general deliberative, cognitive and cultural context? To re-raise the question: about the extent of the ancient Arabic scholars' insight into issues of their sociolinguistic reality within the framework of their defined vision. What is the inclusive complementarity?)

Keywords: horse; mare; heritage; linguistic; Arabic; lexicon; pragmatic.

1. مقدمة

كان منشأ الدرس اللغوي العربي في أول أمره ذا صبغة لسانية اجتماعية؛ إذ هدف إلى وصف الواقع اللغويّ للإنسان العربيّ في وعيه وإدراكه لمحيطه، وإعطاء صورة متكاملة عن لغته المتداولة المعبرة عن حياته العامة، برصد الجوانب الماديّة والمعنويّة المختلفة في بيئته؛ فوصف الإنسان في خلقه ومعاشه وما يسخره من مظاهر الجماد والحيوان؛ فسعى بذلك إلى تحقيق أغراض لسانيّة وظيفيّة لعل أجلّها على الإطلاق(حفظ اللغة في بطون الكتب؛ خوفا عليها من الضياع، لا سيما بعد أن اختلط العرب بالعجم، وبدأت العربيّة تفقد كثيرا من ألفاظها واستعمالاها، إلى جانب الاستعانة بهذه الألفاظ العربيّة الصّميمة على تفسير كتاب الله، وحديث رسول الله ﷺ، ثم تزويد علماء النّحو بمددٍ كافٍ لتقعيد قواعد النّحو العربيّ، خوفا من سريان اللحن في الألسنة، وتيسيرا لتعلمها من غير العرب. (الهابط، 1992، 51) .

ويعد ظهور الرّسائل اللغويّة مرحلة متطورة ومهمة في سير جمع اللغة وتدوينها؛ هذه الرّسائل اللغويّة التي بدت في أول الأمر في صورة بسيطة من حيث الشّكل والمضمون؛ حيث يتم جمع الكلمات حيثما اتفق؛ فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في اسم السّيف وأخرى في الزّرع والنّبات، وغيرها في وصف الفتى أو الشيخ، إلى غير ذلك فيدون ذلك كله حسبما سمع من غير ترتيب إلا ترتيب السّماع..، وفي مرحلة تالية تمّ جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد؛ والذي دعاهم إلى هذا في اللغة أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى؛ فأرادوا تحديد معانيها، فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد؛ أو رأوا كلمات متقاربة اللفظ متقاربة المعنى فعمدوا إلى تدوينها (أمين، 1998،264)

إن ذيوع هذا النوع من الرسائل اللغوية ذات الموضوع يعد مرحلة مميزة لغزارة التصنيف اللغوي عند اللغويين العرب القدامى؛ وقد شكل وصف الحيوان جانبا مهما في مؤلفاتهم؛ ومن ذلك باب " وصف الخيل" وما يرتبط بها من مباحث لغوية ومعرفية؛ يجد فيها الدارس اللغوي اليوم مادة معجمية خصبة للبحث والدراسة والتحليل وربما تعدَّ مجال الاستفادة منها إلى سواه؛ فطب الحيوان يمكنه أن يؤسس قاعدة متينة لمعارفه العلمية تكون سببا قويا في العناية بهذا الحيوان- الخيل- وتشخيص علله وأدوائه .

إن هذه الدراسة تهدف إلى إبراز جهود اللغويين العرب القدامى ومدى إسهامهم في التأسيس للبحث المعجمي التداولي الاستعمالي؛ من خلال موضوع وصف الخيل، هذا الحيوان المقرب من نفسه، والذي يرافقه في حله وترحاله، وفي السلم والحرب، ويتبرك به في رزقه، فيمجده ويتغنى به في أشعاره وأراجيزه؛ ولا غرو بعد ذلك كله أن يكون أحد الموضوعات البارزة لتصانيفهم وقد جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث وخاتمة،

- في المبحث الأول تطرقت للخيل في المعجم العربي،
- وفي المبحث الثاني عرضت للتصنيف في وصف الخيل،
- وفي المبحث الثالث وقفت عند الجوانب المعجمية في وصف الخيل في رسائل اللغويين العرب القدامى. لأعقب ذلك بخاتمة توجز أهم نتائج الدراسة.

2. الخيل في المعجم العربي

لفظ الخيل من أكثر الكلمات تواترا وتداولا في المعجم العربي؛ فقد تحدثت عنه من زوايا مختلفة، وعرفته بطرائق مختلفة؛ وهو ما سنعرض لجانب منه فيما يأتي:

- جاء في لسان العرب؛ الخَيْل: الفُرْسَانُ، وفِي المُحْكَمِ: جَمَاعَةُ الأَفرَاسِ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفظِهِ؛ قَالَ أَبُو عُبيدة: وَاحدُهَا خَائِلٌ لأَنه يَخْتال في مِشْيَتِه، قَالَ ابن سيده وَليسَ هَذَا بِمعرُوفٍ، وَفِي التّنْزِيلِ العَزِيزِ:

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الإسراء: 64].

والخَيْل: الخُيول. وفِي التّنزِيلِ العَزِيزِ:

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [النحل:08].

وفي الحديث: { يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي} قَالَ ابنُ الأَثيرِ: هذا على حذف المضاف، أَراد يا فُرْسانَ خَيْلِ الله اركبي، وهذا من أَحسن المجازات وأَلطفها؛ وقول أَبي ذؤيب فَتنازَلا وتواقَفَت خَيْلاهُما وكِلاهُما بَطَلُ اللِّقاءِ مُخَدَّع ثَنَّاه على قولهم هُما لِقاحان أَسْوَدانِ وجِمالانِ، وقولهِ بَطَلُ اللِّقاءِ أَيْ عند اللِّقاءِ، والجمع الخيل وأَخْيالٌ وخُيول؛ الأَول عن ابن الأَعرابيّ والأَخير أَشهر وأَعرف. وفلان لا تساير خَيْلاه ولا تُواقَفُ خَيْلاه ولا تُسايَر ولا تُواقَف أَي لا يطاق نَمِيمةً وكذباً.(ابن منظور،1988، 654).

وقالوا: الخَيْل أَعلم من فُرْسانِها؛ يُضْرب للرجلِ تَظُنُّ أَنّ عنده غَناء أَو أَنّهُ لا غنا عنده فتجده على ما ظننت. والخَيَّالةُ: أَصحابُ الخُيولِ.

- وجاء في المعجم الوسيط؛ الخَيْلُ: الكِبْر والعُجْبُ بالنّفسِ. والخَيْلُ جَمَاعةُ الأَفراسِ (لَا واحدَ لهُ مِنْ لَفْظِهِ). والخَيْلُ الفُرسانُ. والجمعُ: أَخيالٌ، وخُيُولٌ.(أنيس،2004،266).

- وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة؛ خَيْل: جمع الجمع خيول وأخيال: جَمَاعةُ الأَفراسِ لَا واحدَ لهُ مِن لَفظهِ، مؤنَّثة: شاهدت سباق الخيل، { الخيلُ مَعقودٌ بِنواصيهَا الخيرُ} [حديث شريف]،

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨﴾ [النحل:08].

وخيل البحر: فرس النهر، وخيل الرِّهان: التي يراهن على سباقها بمال أو غيره يستحقه صاحب السابق منها. ورِباط الخيل: ربطها وإعدادها للجهاد(عمر، 2008، 715).

- وفي مجال الوصف العلمي المعاصر في علم الحيوان؛ تنتمي الخيول إلى نوع"Caballus"، تحت جنس"Equus"، التي تنتمي لفصيلة "Equinae" المنتمية لعائلة "Equidae"وتحت رتبة"Hippomorpha" ، والتي تنتمي لشعبة "Eutheria (Placental mammals)"وتحت صف "Theria" المنتمية لصف الثدييات " "mammalia". (عبد الحميد، 2002، 13).

يستخلص من هذه المادة اللغوية: -

أن لفظ الخيل اسم جمع لا واحد له من لفظه.

- جعل بعضهم لفظ الفرس والأفراس مقابلا للفظ الخيل والخيول.

- وجمع الخيل أخيال- وهو قليل الاستعمال- وخيول.

ويعد لفظ الخيل من ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته المتواترة؛ حيث تكرر تواردِه أربع مرات؛ في كل مرة لها سياقها الدلالي التداولي؛ في قوله تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾[آل عمران:14].

وفي وقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: 60].

وفي وقوله تعالى:

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل:08].

وفي وقوله تعالى:

﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: 64].

الخاص بها، وربما وردت ألفاظ الأوصاف لدلالة على الخيل من نحو؛ العاديات في قوله تعالى:

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾﴾ [العاديات:01]

في صورة قَسَم إلهي يؤكد ما لهذا الحيوان من مكانة. وقد أثنى الرسول محمد ﷺ على الخيل في أحاديث كثيرة ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (الخَيلُ مَعقُودٌ فِي نَواصِيهَا الخَيرُ إِلى يَومِ القِيامَةِ الأَجْرُ وَالمَغْنَمُ). (البخاري، 1420، 2850).

3. التصنيف في وصف الخيل

اهتم اللغويون العرب القدامى بوصف الخيل عناية بالغة في مؤلفاتهم؛ فألفوا رسائل لغوية كثيرة ومتنوعة في مضمونها؛ سعت إلى الإلمام بخلقه، وأوصافه، ومحاسنه، وعيوبه، وأصواته، وألوانه، وما عرف به من تسميات عند العرب، وما يحمد منها وما يذم، والسوابق منها، وأسماء الفرسان ومن اشتهر منهم في الآفاق... وسواها من مباحث متنوعة ألمت بالخيل؛ وما ذلك إلا تعبيرا منهم عن مكانة هذا الحيوان، ومنزلته في المجتمع العربي، وأثره البالغ في حياتهم؛ وهو ما عرض له أبو عبيدة (ت209هـ)- وهو من أوائل المؤلفين في الخيل- بقوله: (لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئا من أموالها ولا تكرمه، صيانتها الخيل وإكرامها لها، لما كان لهم من العز والجمال والمنعة والقوة على عدوهم، حتى إن كان الرجل من العرب ليبيت طاويا، ويشبع فرسه، ويؤثره على نفسه وأهله وولده، فيسقه المحض، ويشربون الماء القراح، ويعير بعضهم بعضا بإذالة الخيل وهزالها وسوء صيانتها، ويذكرون ذلك في أشعارهم... فلم تزل العرب على ذلك من تثمير الخيل، والرغبة في اتخاذها، وصيانتها والصبر على مقاساة مؤنتها؛ مع جدوبة بلادهم وشدة حالهم في معيشتهم لما كان لهم فيها من العز والمنعة والجمال).(المثنى، 1358، 03).

ولا بأس أن نعرض في هذا السياق عددا من الرسائل اللغوية المصنفة في الخيل في القرون الأولى، وإن ظل التأليف في العصور التالية إلى زماننا مزدهرا في هذا الباب؛ ومن أشهر الرسائل نذكر:(نصار، 1988، 126)

- الخيل لأبي مالك عمرو بن كركرة (مجهول الميلاد والوفاة) من أساتذة الخليل.
-الخيل أو خلق الفرس؛ النضر بن شميل (ت204هـ)
-الخيل لأبي المنذر هشام بن محمد الكلبي(ت204هـ أو206هـ)
-الخيل لأبي عمرو الشيباني(ت206هـ)
-الخيل لقطرب (ت206هـ)
-الخيل لأبي عبيدة (ت209هـ)، وله ثلاثة كتب في الخيل وأسمائها وحُضرِها.
-الخيل للأصمعي(ت213هـ)؛ وله كتابان باسم الخيل وخلق الفرس.
-الخيل لعلي بن عبيدة الريحاني(ت219هـ)
-الخيل للمدائني(ت225هـ)
-الخيل لمحمد بن عبد الله العتبي(ت228هـ)
-الخيل لابن الأعرابي (ت231هـ)
-الخيل لأبي نصر أحمد بن حاتم (ت231هـ)

- الخيل لعمرو بن أبي عمرو الشيباني (ت231ه)

-الخيل للتوزي (ت233ه)

-الخيل لمحمد بن حبيب (ت235ه)

-الخيل لأبي محلم الشيباني(ت235ه)

-الخيل لأبي عكرمة عامر بن عمران الضبي(ت250ه)

-الخيل لأبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي(ت250ه)

-الخيل لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت (وراق أبي عبيد)

-الخيل لابن قتيبة(ت276ه)

-الخيل لأحمد بن أبي طاهر(ت280ه)

-الخيل لأبي محمد قاسم بن محمد الأنباري(ت304ه)

-الخيل لأبي إسحاق إبراهيم بن السّرى الزّجاج(ت310ه)

-الخيل لأبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي (ت340ه)

-الخيل لابن دريد (ت321ه)

-الخيل لأبي الطيب محمد بن أحمد الوشاء(ت325ه)

-الخيل لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري(ت328ه)

-الخيل لأبي علي القالي(ت356ه)

-الخيل للحسين ابن علي النمري(ت358ه)

-الخيل ليوسف بن عبد الله الزجاجي (ت415ه)

-الخيل للحسن بن احمد الأعرابي الغندجاني(كان يعيش 428ه)

-الخيل لمحمد بن علي اللخمي (ت616ه)

-الخيل لمحمد بن رضوان النمري (ت657ه)

هذا فيض من غيض من الرسائل التي ألفت في وصف الخيل؛ وهذا التتالي الزمني - فلا يكاد يخلو قرن من رسالة أو أكثر- يدل على غزارة التأليف في هذا الباب ومكانته عند اللغويين العرب القدامى؛ وقد أحصى بعض الدارسين العرب المعاصرين أكثر من (168) مائة وثمانية وستين مؤلفا في الخيل والفروسية.(الشيباني، 2018، 35) .

والأمر في هذا الباب كما وصفه محمود شكري الألوسي:(بَحْرٌ عُبَابٌ؛ كَمْ أُلِّفَ فِيهِ مِنْ كِتَابٍ)(الألوسي، 1988، 123)؛ وهذا الاهتمام البالغ له ما يبرره عند الدارسين العرب والمستشرقين؛ وقد أشاروا إلى (أن ذكر الخيل والفرسان قد كثر في المصادر؛ ورغم أن عدد الجمال في الجزيرة العربية كان يفوق بكثير عدد الخيل؛ خصوصا في الفترات الأولى إلا أن ذكر الخيل فاق الجمال بكثير، ويدعى الحصان في معظم الأحيان "فرس" وراكبه "فارسا". كان محمدا يدعو الحصان الأنثى فرسا وهذه الكلمة هي للمؤنث، لكنها أصبحت تعني أي حصان بغض النظر عن جنسه؛ لأنه باستثناء بعض الحالات، لم يقتنوا سوى الفرس)(قدمس، 2001، 126).

4 . الجوانب المعجمية في وصف الخيل في رسائل اللغويين العرب القدامى

يعد البعد المعجمي الجانب الأول الذي تنصرف إليه الأذهان في الدراسة اللغوية حينما يراد التعرف إلى معنى كلمة ما؛ والذي نجده في معاجم اللغة وقواميسها الاصطلاحية، وتعد الدلالة المعجمية دلالة وضعية؛ أي وضعها المجتمع وارتضاها مقابلا لألفاظ بعينها ولذلك توصف أيضا بالدلالة الاجتماعية؛ (ومع أن لكل كلمة دلالتها الاجتماعية المستقلة، نلحظ أنه حين تتركب الجملة من عدة كلمات تتخذ كل كلمة موقفا معينا من هذه الجملة، بحيث ترتبط الكلمات بعضها ببعض على حسب قوانين لغوية خاصة بالنظام النحوي، وفيه تؤدي كل كلمة وظيفة معينة)(أنيس، 1984 ،48)؛ ولعل أهم ما يميز هذا النوع من الدلالة أنها متغيرة، وليست قارة بل متجددة؛ تحكمها سنن التطور والتجدد في الحياة .

ويبدو هذا الجانب من البحث اللغوي المهيمن في وصف الخيل في رسائل اللغويين العرب القدامى؛ إذ لا يكاد يخلو مبحث من هذه الرسائل منه؛ وهذا التركيز من الدارسين العرب على هذا البعد اللغوي المهم هدفه تحقيق مقاصدهم في الفهم والإفهام، ثم التيسير والتسهيل لإدراك معاني ألفاظ وصف الخيل وتراكيبه حتى تفهم من مستعملي اللسان العربي .

ويقوم تحديد الدلالة المعجمية لألفاظ وصف الخيل عند اللغويين العرب القدامى على مبدأين اثنين:

أ - المبدأ الأول: التدرج الدلالي في ذكر الألفاظ المتعددة التي تحيل على معنى محدد في وصف الخيل؛ ويتدرج تواليا في ذلك زمنيا؛ فيورد مثلا اللفظ الذي يطلق على الفرس إذا أرادت الفحل، ثم يتدرج إلى اللفظ الواصف حين الحمل، ثم بعد نتاجها وهكذا...(فإن الكلمات تشكل نسقا يأخذ كل عنصر فيه قيمته ومكانته بالنظر إلى العناصر الأخرى.... والمفردة لا تفهم من خلال علاقاتها الإيجابية التي تقوم بينها

 E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

وبين باقي مفردات اللغة فحسب، بل قد يتم فهمها عن طريق العلاقة السلبية أو الخلافات التي تبعدها عن غيرها من المفردات).(عزوز،2002 ،48).

ويؤدي السياق بنوعيه اللغوي أو المقامي التداولي في هذه الحالة دوره في بيان المعاني المرادة. هذا ما لمسناه مثلا فيما ورد عند أبي سعيد عبد المالك بن قريب الأصمعي(ت216هـ) في فصل حمل الخيل ونتاجها إذ يقول: (كلُّ ذاتِ حافِرٍ أَجْودُ وقتِ الحَمْلِ عَلَيهَا بَعدَ نِتاجِهَا بِسبعةِ أَيّامٍ، وَحِينئذٍ تَكونُ فَرِيشا، وَالجِماعُ: الفَرائشُ... والسَّلُوبُ الّتي قَدْ طَرَحَتْ وَلدهَا، وَالقَيْدُودُ الطّويلةُ... ويُقالُ لَهَا إِذَا أَرادتْ الفَحْلَ: قَدْ استوقَدَتْ، وَهي وَدِيقٌ، فَإِذا امتنعَتْ عَلى الفَحْلِ وَحَمَلتْ قِيلَ قَدْ أَقصّتْ، وَهي مُقِصٌ، فإذا عَظُمَ بَطْنُهَا قِيلَ: قَدْ أَعقَّتْ، وَهِي عَقُوقٌ. فَإِذا نُتِجتِ الفَرسُ، فَولُدهَا أَوّلُ مَا يَكونُ مُهْرٌ، ثُمّ يكونُ إِذَا بَلغَ سَتّةَ أَشهرٍ أَو سَبعةً خَرُوفاً. فَإِذا بَلغَ السَّنةَ ففطم، فهو فُلُوٌّ، وجِماعُها: فِلاءٌ، مَمدُودٌ).(الأصمعي، 2009،48). والملاحظ أن هذا الوصف ينهض على شواهد متعددة بذكر المشهور من كلام العرب وأشعارهم؛ فلا يخلو لفظ من سند شعري، وهم لا يفرقون في ذلك بين المعلوم قائله والمجهول مورده.

ب - المبدأ الثاني: الاكتفاء بـ"المعنى الرئيس" أو "المركزي"؛ وهو المعنى المفرد والأساس للكلمة؛ بمعنى ذكر الاسم المفرد المحدد دون الميل إلى ما يرادفه من ألفاظ أخرى؛ وهو الدائب الذي نجده في الرسائل اللغوية في ذلك الزمن؛ من كثرة الميل إلى المترادفات في باب التسميات؛ تمثيلا لذلك في هذا السياق ما نجده في باب وصف " خلق الفرس" في كتاب الخيل لأبي عبيدة في قوله: (ومما يسمى من خَلقِ الفرسِ؛ أعلى الفرس رأسه، وفي رأسه أذناه - وهما قُذَّاه - وفي الأذنين ذبابهما وعيراهما وصماخاهما، وفي الرأس ذؤابته وناصيته، وعصفوره وقونسه، وقذاله وفقهته....). (المثنى،03،1358).

بالطبع يعني إفراد الاسم للمسمى الواحد ولا ينفي الإمعان في ذكر الأوصاف التي تتعدد في خلق الفرس؛ والتي هي من صميم الاستعمال اللغوي العربي اليومي في ذلك الزمن، ولا يكتفي ذكر هذه الأوصاف بل يعمد إلى شرحها في منهج أقرب إلى النهج التعليمي حتى يكتسبها من لا يجيدها. ومن ذلك من نجده في نفس الرسالة في ذكر أوصاف الأذن في قوله (ومن آذانِ الخيلِ؛ مُؤلّلةٌ، وَمُرهفةٌ، ومُؤسلةٌ، وكَزماءُ، ودَفواءُ، وخَذواءُ، وحَجناءُ، وخَثماءُ، وغَضفاءُ، وفَركاءُ، وصَمعاءُ، وسَكاءُ، وقَنفَاءُ؛ فأما المؤللة فالتي انتصبت وحدت، وأما الكزماء فالقصيرة، وأما الدفواء فالتي تقبل على الأخرى حتى تكاد تماس أطرافهما في انحدار قبل جبهته لا تنتصب في شدة، وأما الخذراء فالتي استرخت من أصلها على الخدين فما فوق ذلك، وأما الحجناء فالتي أقبل أطراف إحداهما من قبل الجبهة، وأما الخثماء فالتي عرض رأسها ولم

تطرف، وأما الغضفاء فالتي تثني أطرافها على باطنها، وأما الفركاء فالتي فيها رخاوة وهي أشد أصلا من الخذواء....). (المثنى،03،1358).

ويبدو من هذا التحليل اللغوي لمعاني الألفاظ؛ دقة في الوصف والتحليل المعجمي؛ ذلك أنه يقف عند الفروق الدقيقة بين الأسماء ومسمياتها؛ وهو ما نظر إليه بعض الباحثين على أنه نهج تنظيمي للتعريف المعجمي.(فهذا التحليل لمعاني المفردات يعد تنظيما لمدلولاتها أو مضامينها فهو بشكل من الأشكال تنظيم لبحوث التعريفات). (عزوز،2002 ،69).

وتتأسس تداوليا الحقول الدلالية للألفاظ المعجمية الجامعة في وصف الخيل عن عدد محدد لا تخرج عنه في مجملها؛ لتتراوح بين عشر موضوعات وصفية للخيل إلى عشرين موضوعا وصفيا لها؛ وهي تتجه في مدلولها بين جانبين:

1.4 . وصف خلق الحيوان وما يرتبط به من أوصاف

وهو ما يمكن وصفه بالرؤية الداخلية للموضوع بالوصف الخالص للموضوع؛ من هذه الزاوية ما وجدناه عند أبي سعيد بن قريب الأصمعي محصورا في الموضوعات الآتية :

1 . حمل الخيل ونتاجها

2 . أسنان الخيل

3 . خلق الخيل ووصف أعضائها

4 . ما يستحب في الخيل

5 . ما يكره من الخيل

6 . العيوب في الحافر

7 . صفة مشي الخيل وعدوها

8 . ألوان الخيل

9 . الشِّياتُ

10 . الخيل المنسوبة (الأصمعي، 2009، 19).

2.4 . وصف هذا الحيوان وعرض علاقة المجتمع ورؤيته له

وهو ما يمكن وصفه بالرؤية الخارجية للموضوع أي عدم الاكتفاء بوصف الخيل بل بعرض مباحث أو موضوعات تجسد رؤية المجتمع العربي لهذا الحيوان؛ ومن ذلك ما وجدناه مثلا عند أبي عبيدة محصورا في الموضوعات الآتية:

1 . صيانة العرب للخيل وإيثارهم لها وأشعارهم في ذلك.

2 . ما قالته عرب الجاهلية من الأشعار في اتخاذ الخيل.

3 . أسماء خلق الفرس

4 . ما يوصف من أمر الخيل وفحولها وإناثها.

5 . أسماء الطير في الفرس

6 . دعاء الخيل

7 . عيوب الخيل مما يكون خلقة

8 . عيوب الخيل الحادثة التي ليست من خلقتها

9 . مما يستدل به على جودة الخيل

10 . صفة ما يخالف فيه الذكر الأنثى

11 . أسماء الخيل

12 . ما تستحب العرب في الخيل

13 . ألوان الخيل (المثنى،1358، 195).

وإذا ما نظرنا في مصدر الدلالات المعجمية لهذه الألفاظ وسندها في الاستعمال والتداول؛ بتحليل الأبعاد التداولية لها؛ إذ (الدلالة الاجتماعية للكلمات تظل تحتل بؤرة الشعور، لأنها الهدف الأساسي في كل كلام. وليست العمليات العضوية التي نقوم بها في النطق بالأصوات إلا وسائل يرجو المتكلم أن يصل عن طريقها إلى ما يهدف من فهم أو إفهام) (أنيس، 1984، 48)؛ يمكن اعتبار ألفاظ وصف الخيل من الرصيد اللغوي الشائع في المجتمع العربي في ذلك الوقت، والذي يختزنه المتكلم في ذهنه كسجل لغوي يستعمله عند الحاجة، وهذه الحاجة ربما تكون يومية لأن الخيل لا يغيب عن بصره أو سمعه طوال يومه؛ وهو ما انعكس في قول الشعر وأرجازه؛ فنجد أن الشاهد الشعري هو المرتكز الأساس في التأكيد على صحة الاستعمال وشيوعه، ذلك أن وصف الخيل في مختلف جوانبه لم يبرز في الاستعمال اللغوي كما ظهر في أوصاف الشعراء له منذ العصر الجاهلي، ولذلك وجدنا واحدا من أصحاب هذه الرسائل اللغوية؛ وهو الأصمعي استشهد بأكثر من ستين بيتا من الأشعار والأرجاز من العصر الجاهلي إلى القرن الثالث الهجري(الأصمعي، 2009 ،19). ولا يختلف في ذلك كل من ألفوا رسائل في باب وصف الخيل.

5 . خاتمة

نخلص في ختام هذه الدراسة التي سعت إلى تقديم جانب مهم في التراث اللغوي العربي القديم؛ وهو رصد جانب من النظام اللغوي للغة العربية وهو البعد المعجمي التداولي في رسائل اللغويين العرب القدامى؛ من خلال تناولهم لموضوع مهم في سيرورة المجتمع العربي ألا وهو "وصف الخيل"؛ والذي برز بوصفه موضوعا تجسدت من خلاله الرؤية المعجمية لبناء الكلمة العربية في علاقتها بالدلالة الاجتماعية؛ ولعل من أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة:

-تعد الرسائل اللغوية التي بدأت في الظهور بدءا من القرن الثالث الهجري مرحلة متطورة ومهمة في سير جمع اللغة وتدوينها؛ هذه الرّسائل اللغويّة التي بدت في أول الأمر في صورة بسيطة من حيث الشكل والمضمون ثم تطورت لتصبح مظهرا مميزا لنشأة البحث المعجمي في الدرس اللغوي العربي القديم.

-يرتبط " باب وصف الخيل" في رسائل اللغويين العرب القدامى بالسياق الاجتماعي الثقافي العام؛ إذ يعكس السيرورة المعرفية والحضارية للمجتمع العربي الإسلامي.

- يجد الدارس اللغوي في وصف الخيل في رسائل اللغويين العرب القدامى بما تضمنه من مباحث لغوية ومعرفية متنوعة مادة خصبة للبحث والدراسة والتحليل، وربما تعد الأمر إلى سواه؛ فطب الحيوان يمكنه أن يؤسس لمعارفه العلمية قاعدة متينة يمكن أن تكون سببا قويا في العناية بهذا الحيوان- الخيل- وتشخيص علله وأدوائه.

- نما الدرس المعجمي وتطور من خلاله الدرس اللغوي العربي مع ظهور معاجم الموضوعات التي تجلت أول الأمر في رسائل لغوية ذات موضوع واحد؛ ومن أهم هذه الموضوعات " وصف الخيل".

-تراوح الحقل الدلالي المعجمي لموضوع وصف الخيل بين رؤية داخلية انحصرت في وصف خلق الخيل وأوصافه، ورؤية خارجية تداولية تمثلت في التصور الاجتماعي لمكانة الخيل ومنزلته في المجتمع العربي.

- يمكن القول إن ألفاظ وصف الخيل من الرصيد اللغوي الراسخ في المجتمع العربي؛ والذي يختزنها المتكلم في ذهنه كسجل لغوي يستعمله عند الحاجة، وهذه الحاجة ربما تكون يومية لأن الخيل لا يغيب عن بصره أو سمعه طوال يومه.

E-ISSN - 2773-2886 / ISSN - 2773-2894

6 . قائمة المصادر والمراجع

- الأصمعي أبو سعيد عبد المالك بن قريب،(2009)، الخيل، تح: حاتم صالح الضامن، ط02، دار البشائر، دمشق، سوريا.

- الألوسي محمود شكري، (د.ت.ط)، بلوغ الأرب، تح: محمد بهجة الأثري، ط02، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

-أنيس إبراهيم،(1984)، دلالة الألفاظ، ط05، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر.

-أنيس إبراهيم وآخرون، (2004)، المعجم الوسيط، ط04، مكتبة الشروق، القاهرة، مصر.

-أمين أحمد، (1998)، ضحى الإسلام، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

-البخاري الإمام إسماعيل بن إبراهيم،(1420)، صحيح البخاري، ط01، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

- الشيباني محمد بن إبراهيم،(2018)، فهرس كتب ومجلات الخيل والفروسية القديمة والحديثة في مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط01، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت.

- عبد الحميد عبد الحميد محمد، (2002)، تربية الخيول، ط01، شركة الجلال للطباعة، الإسكندرية، مصر.

-أبو عبيدة معمر بن المثنى، (1358ه)، الخيل، رواية أبي حاتم السجستاني، ط01، دار المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند .

-عزوز أحمد،(2002)،أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، ط01، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

-عمر أحمد مختار،(2008)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط01، عالم الكتب، القاهرة، مصر.

- قدمس، (2001)، معركة القادسية معركة اليرموك معركة هليوبوليس تطورات فنون الحرب الإسلامية دور الجمل والخيل في الفتوحات العربية المبكرة، تر: ميسون الحجيري، ط01، دار قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

-ابن منظور،(1988) لسان العرب، د.ط، دار الجيل، بيروت، لبنان.

-نصار حسين، (1988)، المعجم العربي نشأته وتطوره، ط04، دار مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

- الهابط فوزي يوسف،(1992)، المعاجم العربية موضوعات وألفاظاً، ط01، الولاء للطبع والتوزيع، القاهرة، مصر.